

أسماء اللّٰه الحسنى وأبعادها التربوية: رؤية تأصيلية تطويرية

الباحث: إسماعيل السباع

الملخص

إن الرؤية الحضارية القرآنية الكونية هي الأساس والمنطلق لأي إصلاح إنساني، فبتحديدها لحقيقة الكون والحياة والوجود مَثَّلت الغاية والدافع والمحرك نحو الفعل الإعماري الحضاري، فكانت بحق الفكرة التي صنعت الحضارة الإسلامية.

ومن هنا كان الرِهان على إصلاح واقع الأمة وتغييره نحو الأصلح، يبدأ بالرهان على التغيير في صياغة الشخصية الإسلامية لأبناء هذه الأمة، وفق هذه الرؤية وتَوَجُّهاتها، وبنائها بناء سليما بتأسيسها على قاعدة عَقَدِيَة متينة تضمن انبثاق باقي القواعد الأخرى وتكاملها.

وهذا البحث محاولة للإسهام تربويا في هذا المسار التصحيحي، بتسليط الضوء على مجموعة من القضايا التأصيلية، وإعادة النظر فيها من جهة.

الكلمات المفتاحية: أسماء الله الحسنى – الرؤية الكونية – الرؤية التربوية

المقدمة

إن فاعلية أي مجتمع تقاس بمدى التطابق بين سـلوكه ومثله ولعل المتأمل لواقع أمتنا الإسـلامية اليوم، وما تعيشـه من تخبط وتخلف وفقدان هوية، ولما تحتله من موقع هامشي يلحظ دون عناء مدى المفارقة بين ثروة الإسلام من المفاهيم الإنسانية

والأخلاقية والحضارية، وخلو واقع المسلمين وعطائهم الإنساني والحضاري من آثار الكثير من هذه المفاهيم.

ولأنه على مقدار الهوة الفاصلة بين القول والفعل تكون أزمة التربية. يمكن الجزم أن المشكل الذي تواجهه الأمة الإسلامية لا يكمن في شح مقدراتها الطبيعية والمادية ولكن في الضعف المروع في إرادة التحرك والانجاز في طاقتها البشرية.

ذلك أن ما يضمن نهضة الأمم وانخراطها الفعال في صناعة تاريخ البشرية، ليس ما تمتلكه من ترسانة عسكرية وثروات طبيعية ومادية، ولكن ما تمتلك من طاقات بشرية حية وفاعلة في البناء الحضاري، ومن قيم وازنة تمكنها من مواجهة التحديات التي يفرضها زمن العولمة الراهن.

معلوم أن التربية ليست المجال الوحيد لتوجيه الفرد وتأهيله، ولكن الأكيد أنها المجال الفعال والأنجع لصناعة سلوك الفرد، وضمان اندماجه في المجتمع، ومساهمته في تطوير الأمة، وحرصه على الحفاظ على خصوصياتها وما يميز هويتها. ذلك أن التربية هي المدخل الرئيس، لتشكيل إرادات أفراد الأمة، واكتشاف الطاقات والمواهب الضرورية لتطوير كل مجالات الحياة.

لهذا لا بد أن تمنح الناشئة، في مراحل نموها وتشكلها الأولى، فرصة امتلاك القيم والمعارف والمهارات وفق رؤية دقيقة واضحة؛ وتبقى المرحلة الابتدائية، بسلكيها الأساسي والمتوسط، أنسب المراحل التعليمية لغرس بذورها، ووضع أسس بنائها، بشكل يراعي خصوصيات المرحلة ويلبِّي احتياجاتها؛ فالرهان التربوي على مرحلة الطفولة رهان على المستقبل، وسعي لإصلاح الخلل الجذري الذي يتخبط فيه المجتمع، ورغبة في إنقاذ أفراده.

وهذا البحث محاولة للإسهام تربويا في هذا المسار التصحيحي بتقديم طرح تربوي يجعل من بناء رؤية كونية حضارية للمتعلم، بما تحدده من غاية وتوفره من دافع ومحرك نحو الفعل الاعماري، الأساس والمنطلق للإصلاح الإنساني.

إشكالية البحث:

ينطلق هذا البحث من سؤال رئيسي، وهو:

كيف تسهم أسماء الله الحسنى في بناء رؤية إسلامية واضحة تضع المتعلم في المسار الصحيح لتشكيل تصوراته بشكل علمي دقيق؟

خطة البحث:

المبحث الأول: الرؤية الكونية

- رؤية العالم: أصالة المفهوم وحداثة المصطلح
- أهمية البحث في قضية الرؤية الكونية

- ✓ أولا: البعد الغائي الحضاري
- ✓ ثانيا: البعد المعرفي
- ✓ ثالثا: البعد التفسيري:
- ✓ نماذج من وعي الفكر الإسلامي المعاصر
- ✓ عبد الحميد أحمد أبو سليمان:
- ✓ سيد قطب

المبحث الثاني: أسماء الله الحسنى الخيار الاستراتيجي وتفعيل هذه الرؤية تربويا:

- أسماء الله الحسنى منطلق التفعيل التربوي للرؤية:
  - ✓ مركزية التوحيد في البناء العقدي:
  - ✓ أسماء الله الحسنى وأفق التشكيل العقلي المعرفي والنفسي الوجداني للمتعلم
- الإيحاءات التربوية لأسماء الله الحسنى
  - ✓ إبراز الجانب الإيماني التوحيدي في الرؤية
  - ✓ إبراز الجانب القيمي الأخلاقي للرؤية
  - ✓ إبراز الجانب الجمالي الغائي في الرؤية
  - ✓ إبراز الجانب الفطري والايجابي في الرؤية
  - ✓ إبراز الجانب العلمي السنني في الرؤية

المبحث الأول

الرؤية الكونية

إن تسليط الضوء على الجهود الإصلاحية المعاصرة في ساحة الفكر الإنساني عموما والإسلامي منها على وجه الخصوص، يعكس أن ثمة اتفاق على أن الوعي بقضية رؤية العالم أو الرؤية الكونية والالتفاف حولها، من أولى الأولويات. لأنها الأساس والمنطلق لبناء حضارة أي أمة، وتزويد أبنائها بالدافعية والايجابية اللازمين لإحداث التغيير المطلوب في كافة المجالات.

على اعتبار أن امتلاك المعرفة، وضبط مناهجها الموضوعية لا يكفي وحده لتحريك الفعل الإنساني، ولا لتحديد مقصده. بل إن ذلك يتوقف على رؤية كونية واضحة، تضمن انفعال الوجدان وحضور الإرادة. بما توضحه للإنسان من معنى حقيقي للوجود، والغاية والهدف من هذا الوجود. وما تمنحه تبعا لذلك من قوة ودافع للفعل والحراك الإعماري.

ومع أن الكثير من الباحثين والمفكرين الإسلاميين، قديما وحديثا، كتبوا عن قضية الرؤية الكونية الإسلامية وعن أهميتها وخصائصها ومقوماتها إلا أن واقع المسلمين، وللأسف، يشهد على الكثير من البعد والتغييب بل والتشويه لهذه الرؤية. الشيء الذي يستدعي من جهة استمرار تعميق الوعي بها، وتكثيف الجهود، على مختلف الجبهات، لتنقيتها وردها إلى منابعها الأصلية. ومن جهة أخرى، تجاوز الفئوية والصَّفَوِية في التعامل مع هذه القضية بالانتقال من المعالجة التوصيفية التي لا تخرج عن الإطار التنظيري الفلسفي، إلى مرحلة من البيان المنهجي الإجرائي، الذي يقدم لجميع فئات المجتمع الإسلامي ـــــ كل حسب تخصصه ـ حظه من تفعيل هذا التصور وتحديد معالم مناهج النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية وفقهها.

رؤية العالم: أصالة المفهوم وحداثة المصطلح

يعد مفهوم رؤية العالم، أو الرؤية الكونية من المفاهيم المركزية في الخطاب الفكري والفلسفي المعاصر بتعدد مشاربه ومرجعياته. وليس من باب المبالغة تقدير أهمية مفهوم رؤية العالم "إذا أدركنا درجة تأثير الطرق الأساسية التي ندرك فيها العالم الذي نعيش فيه وموقعنا فيه، في فهمنا للعلوم الطبيعية والاجتماعية"(١).

وبالرغم مما ناله هذا المفهوم من مكانة يفصح عنها الانتشار الواسع والحضور القوي الذي حظي به في العديد من الكتابات الفكرية، والبحوث العلمية في الساحة الإنسانية والإسلامية، إلا أنه يلاحظ، وبالعودة إلى القواميس العربية سواء المعجمية منها أو الفلسفية، الغياب شبه التام لهذا المصطلح بصيغة التركيب الإضافي: "رؤية العالم".

(١) د. فتحي حسن ملكاوي: رؤية العالم – مجلة اسلامية المعرفة – السنة العاشرة– العدد ٤٠ ربيع ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م – ص:11

فالبحث عن جذر: "ر.أ.ي" في العديد من المعاجم اللغوية، يُحيل إلى ربط الرؤية بالمشـــاهدة والعلم؛ يُقال رأى رأيا ورؤية، شاهد مشاهدة وعلم علما، ويتم التفريق بين المعنيين بالرجوع إلى التركيب اللغوي: فإذا تعدى إلى مفعول كان بمعنى المشاهدة، وإذا تعدّى إلى مفعولين جاء بمعنى العلم والنظر بالعقل.(١)

فالرؤية في الدلالة اللغوية من مشتقة من الراء والهمزة والياء وهو "أصـلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصـارٍ بعينٍ أو بصـيرة"(٢)، أي النظر بالعين والقلب، ويُوَسع المعجم الفلسـفي دائرة دلالة المفهوم ليُضيف الإدراك، معتبرا أن الرؤية "مشاهدة بالبصـر وقد يراد بها العلم مجازا، وإذا كانت مع الإحاطة سميت إدراكا."(٣)

ويبقى القاسـم المشـترك بين المعجمين عدم ربط هذا العلم والفهم والنظر بالعالم. الشـيء الذي يعكس من جهة جنينية وحداثة المصطلح (لا المفهوم) من الناحية الاصطلاحية والتراثية، ومن جهة أخرى تَحَفَظ بعض العلماء المسلمين على توظيف المصطلحات المهاجرة من الثقافات الأخرى خصوصا إذا اتصل المصطلح بالحقل الفلسفي أو الميتافيزيقي.

إن تأسـيس قاعدة منهجية للتعامل مع طبيعة هذا المصـطلح، يسـتدعي ضـرورة الوقوف على جذوره التاريخية؛ وقوف نأمل أن نتجاوز فيه معرفة أصـل المصـطلح وتطوره الدلالي، على أهمية ذلك، إلى محاولة توطين هذا المصـطلح في الثقافة العربية الإسـلامية؛ نبحث المفهوم بشكل يراعي خصوصية منطلقاتها وثوابتها الفكرية والعقدية. ويجب الاعتراف بدءاً، أنه رهان يواجَه بقلة الدراسات الموجهة لتطور هذا المصطلح، كما يواجه بصعوبة تتبعه في مختلف اللغات والثقافات.

لقد كان الســبق للفلســفة الألمانية في معالجة تاريخ هذا المفهوم وتطوره، ضــمن مباحث تاريخ المصــطلحات وتطور الرؤى والأفكار، حيث "تشــير الدراســات إلى أن المفكرين الألمان اهتموا أكثر من غيرهم منذ وقت مبكر بدراســة تاريخ الألفاظ والمصطلحات وتاريخ المفاهيم والأفكار."(٤)

ويمكن الرجوع بأصل 'رؤية العالم' إلى كتاب ' نقد الحكم للفيلسوف' 'إمانويل كانت'(٥)، حيث استعمله في سياق الدلالة على قدرة العقل البشري على الإدراك الحسي(٦)، أما توظيف المصطلح بصورة أوسع وفق دلالاته المعاصرة فيعود إلى الفيلسوف الألماني 'دلتاي' الذي ربطه "بفهم الإنسان للكون المادي في صورة كلية تربط مكوناته ببعضها وتحديد موقع الإنسان فيها."(٧)

(١) ابن منظور: لسان العرب – طبعة دار المعارف – دون تاريخ – مادة ر.أ.ى الجزء السادس ص:٦٢

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة – الجزء:٢ دار الفكر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – ص:٤٧٢

(٣) د.جميل صليبا: المعجم الفلسفي – دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان – ١٩٨٢م – ص:٦٠٤

(٤) د. فتحي حسن ملكاوي: رؤية العالم – مرجع سابق – ص:١١

(٥) انظر موسوعة الفلسفة للدكتور عبد الرحمان بدوي – الجزء الثاني – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – دون تاريخ – الصفحة ٢٦٩ وما بعدها.

(٦) راجع مقالة:رؤية العالم والعلوم الاجتماعية د. فتحي حسن ملكاوي – مجلة اسلامية المعرفة – السنة الحادية عشر –العدد ٤٢-٤٣ خريف ٢٠٠٥م-شتاء٢٠٠٦م –الصفحة ٥٦ وما بعدها.

(٧) د. عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة– مرجع سابق – ص:٤٧٥ وما بعدها.

هكذا تطورت رؤية العالم في الفلســـفة الغربية ارتباطا بتطور العلوم الطبيعة التي تمدها بالحقائق العلمية المتعلقة بالكون المادي الطبيعي، لتشكل إطارها العام لفهم العالم والتعامل معه. بتغييب شبه تام لبعد بالغ الأهمية في اسـتكمال الرؤية لتكاملها وتوازنها. وهو البعد القيمي الأخلاقي، ولعل السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح:

- هل حداثة مصطلح 'رؤية العالم' وولادته في حضن الثقافة الغربية يعني ضرورة غيابها كمفهوم عن الوعي الإسلامي؟
- ما حدود تفاعل الفكر الإسلامي مع هذا المصطلح؟
- وما الإضافة النوعية التي يقدمها المفهوم؟

في إطار التفاعل الحضاري والثقافي بين الأمم والشعوب، عرفت السـاحة الفكرية والعلمية هجرة العديد من المصطلحات من حقل معرفي إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى.

ومصـــطلح "رؤية العالم" هو أحد هذه المصـــطلحات الوافدة إلى الثقافة الإســـلامية من الثقافة الغربية، ولعل وعي المفكرين المســـلمين، "أن اللغة تتحيز بطبيعتها للأنماط الحضـــارية لأهلها فالمفردات والمصـــطلحات والتراكيب اللغوية كلها تمثيلات للقيم والاتجاهات التي تسود واقع الأمة التي تتحدث بها"(١)، دفعهم إلى التعامل بنوع من التحفظ والحذر في نقل هذا المصطلح وتداوله. خاصة وأنه يتصل بشكل مباشر بأمور العقيدة التي هي محرك الفهم الإسلامي وأساس بناء صرحه الحضاري.

إن نقل أي مصطلح يدفع إلى التفكير بعمق في العلاقة الجدلية بين المفهوم/concept، والمصطلح/terme، وفي خصوصيات اللغتين؛ المنقول منها والمنقول إليها، وكذا التاريخ والثقافة وما يترتب عن كل هذا من إشكالات وعوائق.

لقد أســـهمت جهود العلماء والباحثين في بلورة بناء معرفي يُمكن من نحت المصـــطلح أو اســـتنباته بتعبير 'طه عبد الرحمن' في الثقافة الوافد إليها وهي هنا الثقافة العربية الإسلامية.

وتصبح المسألة أصعب عندما يتعلق الأمر بمفهوم متشعب، وهذا ينطبق على ما نحن فيه حيث "يتداخل مفهوم رؤية العالم في مختلف حقول المعرفة: في الدين، والفلســـفة، والعلوم الاجتماعية والطبيعية، والفنون، والعلوم التطبيقية مثل الطب والهندســـة... وغيرها".(٢)

مصطلح 'رؤية العالم' أو 'الرؤية الكونية' نبت وترعرع في المجال الفلسفي، وفيه أخذ تعريفه بالمعنى الحديث المتداول والذي "يعني النظرة الشاملة إلى العالم التي تأخذ بعين الاعتبار جميع الأجزاء والعناصر والمكونات والنظم بعين الاعتبار، فهي رؤية لحقائق الأشياء في إطارها الأشمل، وهي قواعد وأطر مرجعية للفكر والسلوك ضـمن نظام القيم العام للمجتمع، وهي الصورة التي يدرك فيها العقل الإنساني حقائق الكون والحياة والإنسان، وإجابات الأسئلة الوجودية والمعرفية والقيمية بخصوص هذه الحقائق والعلاقات بينها."(٣)

(١) د. حسن فتحي ملكاوي: رؤية العالم والعلوم الاجتماعية – مجلة اسلامية المعرفة – خريف ٢٠٠٥م– شتاء٢٠٠٦م – العدد ٤٢–٤٣. ص:٣٨

(٢) د.فتحي حسن ملكاوي: رؤية العالم – مرجع سابق – ص:٨

(٣) د.فتحي حسن ملكاوي: مفاهيم في التكامل المعرفي – مجلة إسلامية المعرفة –السنة الخامة عشر – العدد ٦٠ –ربيع ١٤٣١هـ ٢٠١٠م – ص:٢٣

واللافت للنظر في هذا التعريف، هو تأكيده على اتصـــال الرؤية الوثيق بنظام القيم لكل مجتمع، وهذا ما ينحو بها إلى نوع من الخصوصية التي تتأسس على مرجعية المجتمع وتوجهاته، لذلك تعامل الفكر الإسلامي بحذر شديد مع المصطلح المهاجر من الثقافة الغربية، بما يحمل من دلالات وأبعاد، وحاول تأصيله بالرجوع إلى المفهوم وجذوره الدلالية في الثقافة الإسلامية، حتى أصبحت رؤية العالم مطبوعة بالبعد العقدي للأمة، ومعبرة عن تصورها الاعتقادي العام والشامل.

لقد أخذ المصـــطلح أبعادا جديدة أغنته وأثرت مدلوله، ولعل البعد القيمي أهم هذه الإضـــافات النوعية التي قدمتها الثقافة الإســـلامية لهذا المصـــطلح، لأنه أخرج الرؤية من نفق الماديات وضـــيقه إلى عالم القيم والأخلاق ورحابته. وهكذا تُقدم الفلســـفة الإسلامية نظرة متوازنة بين البعد المادي والبعد الروحي.

أهمية البحث في قضية الرؤية الكونية

ترتبط الرؤية الكونية بتقديم قيم ورؤى محددة للكون والوجود، وهي بطبيعة الحال، متصلة بالعقيدة اتصالا مباشرا. فمن العقيدة يَبْني الإنسان تصوره لنفسه ولعلاقاته ويرسم مساره سواء مع هذه الذات أم مع ما يحيط بها، ليُكوِّن في نهاية المطاف تصورا ورؤية عامة تعبر عن أفكاره ومعتقداته وتوجهاته في الحياة. وهذا ما يســـمح، في العمق، بتفســـير كل ما يدور حولنا ويحيط بنا ونتفاعل معه، لأن الرؤية الكونية تزودنا بالإطار العام الذي يُمَكننا من فهم الذات في بعدها الداخلي، وفهم كل شـــيء حولنا وهو البعد الخارجي، وكل هذا ضمن إطار موحد ومتكامل.

إن هذا البعد التفسيري يتأسس على بعد مجاور يقدم له المعارف باعتبارها أرضية واضحة ومحددة يمارس فيها العقل البشري إنتاج المعرفة وبناءها. كما أنها البوابة الرئيســـية لإظهار التكامل بين مختلف فروعها والانســـجام مع ثوابت العقيدة ومرتكزات القيم والأخلاق، مما يقدمها باعتبارها رؤية منفتحة بمعطى معرفي خاص، فكل رؤية "تتضمن تفسيرات للحقائق المتعلقة بالكون الطبيعي وتنبثق منها تفسيرات حول موقع الإنسان في الكون وطبيعة معتقداته."[١]

وهذا يعني أننا أمام رؤية كلية متعددة، تظهر آثارها في حضارات الأمم والشعوب، وكذا سلوك الأفراد ونشاطهم، فرؤية العالم هي المحرك والدافع لانطلاق الأفراد وتَحول المجتمعات، وكلما كانت واضحة وأصيلة كان الإبداع والتطوير دَيْدَنَ الأفراد ونهج الأمة.

إن الحديث عن أهمية البحث في الرؤية الكونية يفتح أمامنا باب مناقشة ثلاث أبعاد نرى أنها أساسية ومحورية؛

أولا: البعد الغائي الحضاري

توفر الرؤية الحضـارية القرآنية أسـاسـا ومنطلقا لتفسـير الوجود، والتعامل معه وفهم العلاقات القائمة بين عناصـره، فغاية الرؤية القرآنية هي تحديد مركزية الإنسـان في هذا الكون، وما هو المطلوب منه نحو خالقه سبحانه، ونحو ذاته وما يتصل بها، ونحو محيطه وما يؤثثه، أي ما يحدد غاية وجوده في هذا الكون، وما يضبط حركاته في هذه الاتجاهات: عبادة الله، التفاعل الداخلي، الإصلاح

(١) د.فتحي حسن ملكاوي: رؤية العالم والعلوم الاجتماعية – مجلة إسلامية المعرفة– العدد:٤٢-٤٣ ص: ٦١

والإعمار؛ وتحقيق التوازن في هذه الأبعاد على مستوى الأفراد كفيل بإنشاء أمة تملك زمام المبادرة، وتتوفر على شروط قيادة العالم وزعامة البشرية، يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة الآية:١٤٣)

إن البحث في الرؤية الكونية القرآنية هو بحث في الوظيفة الغائية الحضارية التي تهدف إليها وتسعى لبلورتها وتفعيلها، وكذا رسم المسار الذي ينبغي أن تسلكه البشرية في هذه الحياة، وما هي الخريطة المرسومة لتحقيق ما يسعد الفرد والمجتمع، بما ينسجم مع الفطرة السلمية ويحفظ وجود الإنسان ويؤمن استخلافه، فيتجه الجميع نحو التقدم والازدهار.

"على أن تعيين الهدف السديد للوجود الإنساني ليس هو المشكلة الوحيدة في المسيرة الوجودية للإنسان، بل إن اختطاط مناهج للسلوك تكون محققة لذلك الهدف، ثم تنزيل تلك المناهج في واقع الإنسان لَتُعَد مشكلة تتجاوز الأولى في التعقيد والاستعصاء"(١)، لكنها لا تدانيها في الأهمية والعمق، ذلك أن الرؤية الكونية تحدد الاتجاه العام لفهم الكون وما فيه من نظم وعلاقات. ولا تترك مجالا للعشوائية والصدفة، فيتم إدراك "غائية الوجود، وما يترتب على ذلك من مسؤوليات، ومن متع إعمارية تسخيرية استخلافية، تكمن في إبداع الكون وجمالاته وتناسقه ودقة نظامه وتكامله وانتظام سننه"(٢). والتفكير في هذا النظام البديع يوجه بوصلة الإنسان نحو الخير والإصلاح والإعمار. ويتحصل من وضوح غائية الوجود تفعيل الوجدان وقوة الإرادة ووجود الحركة، فالرؤية كما تحدد الأهداف العليا والغايات الكبرى، توفر الحافز والمحرك لبلوغها، ولولاها لما ازدهرت أمة ولا تطورت حضارة. لقد وصلت الحضارة الإسلامية إلى أوجها عندما كانت لها رؤية تحدد "معنى حقيقيا إيجابيا للوجود، وغاية وهدفا دافعا لهذا الوجود، تكون بمنزلة المحرك والدافع للفعل والعطاء والحركة الإعمارية الإصلاحية"(٣)، فتبعث في الأمة الحيوية لصناعة التاريخ وإنتاج الحضارة. ومن ثم كانت منطلق الانبعاث الفكري والأخلاقي والسلوكي للأفراد ومنبع التصور الجماعي للوجود الذي على أساسه تُرسم الخطط وتُبنى المناهج.

ثانيا: البعد المعرفي

يواجه الباحث في الرؤية العالمية إشكالية البعد المعرفي وكيفية اشتغاله في تشكيل الرؤية وتوجيه المصطلح، ذلك أن لكل رؤية خلفية معرفية تنطلق منها لتأسيس ثوابتها، وكلما كانت هذه المعرفة واضحة المعالم محددة المصادر، كانت الرؤية المنبثقة عنها واضحة ودقيقة، بعيدة عن التناقض والتهافت.

"ولقد كان القرآن الكريم قد قدم للناس هذا التفسير الشامل، في الصورة الكاملة، التي تقابل كل عناصر الكينونة الإنسانية، وتلبي كل جوانبها، وتتعامل مع كل مقوماتها...، تتعامل مع 'الحس' و'الفكر' و'البديهة' و'البصيرة'...، ومع سائر عناصر الإدراك

(١) د.عبد المجيد النجار: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل – دون تاريخ – شركة الطباعة والنشر والإشهار – حلق الوادي – تونس – ص:٨

(٢) د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان: الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني –الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩ م – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – دار السلام – القاهرة – مصر- ص:١٣٢

(٣) د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان: الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني – مرجع سابق – ص:١٩

البشـري بوجه عام."[١] وهو بهذا يقدم خلفية معرفية تعتبر أسـاس انبثاق الرؤية الكونية القرآنية، أما السـنة النبوية الشـريفة فكانت الثمرة الكاملة النموذجية للتوجيه القرآني، بتعبير سيد قطب، إنها شـارحة للإطار العام الذي جاء به القرآن الكريم؛ مفصـلة لمجمله، ومبينة لمبهمه، إنها تنزيل عملي للرؤية القرآنية وتفعيل لها في واقع الصـــحابة الكرام. وبهذا توفرت الرؤية الكونية القرآنية على بناء معرفي لم يتوفر لغيرها.فهي تتسم بالثراء والإيجابية، وتَمَثُّلها بالشكل السليم يولد الثقة بالنفس ومقدراتها، لتصبح "قوة ضميرية عقدية تربوية فاعلة محركة للفرد والمجتمع، ومفعلة لمنهجية فكر المجتمع وكل ما لدى الفرد والمجتمع من أدوات الفعل والحركة وضـــوابطها؛ المتمثلة في مبادئ منهجية فكره، وما تنطوي عليه هذه المنهجية من مفاهيم وقيم وضـــوابط"[٢]، في إطار فهم مركزية الإنســـان في الوجود والغاية من هذا الوجود، وبمرجعية تقوم على الكتاب والسـنة، إذ "تُميز رؤية العالم في المنظور الإسـلامي بطريقة واضـحة تماما بين مصدرين لابتغاء الرشد في أي عمل يقوم به الإنسان، وهذان المصدران هما: الوحي والوجود؛ فالوحي هو ما أوحي الله سبحانه به إلى نبيه محمد صـــلى الله عليه وســـلم وبَلَّغه للناس، وبيَّنَه لهم بالقول والفعل. فمنه الوحي الجلي وهو القرآن الكريم، ومنه الوحي الخفي وهو السنة النبوية الشريفة"[٣]. والمصدران يؤصلان للعقيدة، منطلق الرؤية الكونية القرآنية ومبتدؤها.

ثالثا: البعد التفسيري

إن الرؤية الكونية تقدم تفسـيرا متوازنا للوجود، وتثبت مركزية الإنسـان في هذا الكون وتوضـح الغاية من وجوده، وترسـم طريقا مستقيما لحياته، وهي بهذا تقدم إجابات شـافية لأسئلة فطرية ترتبط بالكون وخالقه، وبالإنسـان وعلاقاته بالكون والخالق عز وجل "حيث يتصـف الله تعالى بالكمال المطلق، ولا يسـتطيع العقل البشـري أن يعلم من كنه حقيقته شيئا، وقصـارى ما يدرك منه ثبوت صفات الكمال له، في حين يتصف العالم بصفات النقص والدون إزاءه، وهو ذو طبيعة معقولة، في إمكان العقل البشري إدراكها، وتحصـــيل حقيقتها"[٤]. وما يقع تحت مدارك الإنســـان وما لا يقع تحتها معلول بالوجود الإلهي ولا يخرج عن محيط علمه، وعظيم قدرته وإرادته عز وجل. وعلى الإنسان أن يسلك طريقا تحدده رؤية كونية من منطلق عقدي، بما يحقق ذاته ويحافظ على مكانته في الوجود دون الخروج عن المهمة التي أنيطت به والغاية التي خُلق من أجلها، إذا أراد أن يتولى الخلافة في الأرض وينهض بمسؤولياتها.

(١) سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته – دار الشروق – الطبعة السابعة – ص٦

(٢) د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان: الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني – مرجع سابق – ص:٢٥

(٣) د. فتحي حسن ملكاوي: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية– مرجع سابق – ص:٢٠٨

(٤) عبد المجيد النجار: خلافة الانسان بين الوحي والعقل – مرجع سابق – ص:٢١

نماذج من وعي الفكر الإسلامي المعاصر:

- **عبد الحميد أحمد أبو سليمان:**

يعد عبد الحميد أحمد أبو سليمان من الأوائل الذين تنبهوا لأهمية تجديد منهجية الفكر والبحث الإسلامي، وساهموا في لفت الانتباه إليه من خلال المؤسسات التي شارك في إنشائها وإدارتها، ومن خلال مؤلفاته التي لم تعكس وحسب وعيا بهذا التجديد المنهجي وإنما ممارسة وتطبيقا له أيضا.

ولعل المطالع لكتابات أبي سليمان، يلمس دون عناء، الهم المصاحب والملازم له، والمتمثل في «أزمة انحطاط الأمة الإسلامية»، هَمٌّ تَمَكَّن من خلال رحلة عمر من التأمل والنظر والتحليل وتراكم الخبرات والتجارب، أن يبلور تصورا منهجيا شموليا متكاملا في مقاربته. ميز فيه بين عوامل أدت إلى هذا التخلف الحضاري، وعوامل كرسته في واقع الأمة، وعوامل أخرى أساسية وحاسمة لتخطيه، لكنها وللأسف غابت ولا زالت غائبة عن المحاولات الإصلاحية المعاصرة.

هكذا يرى أبو سليمان أن الإصلاح المنشود، يقوم على مرتكزات ثلاث متكاملة متبادلة التأثير والتأثر:

- سلامة منهج التفكير.
- قوة البناء النفسي والوجداني.
- وضوح الرؤية الكونية الحضارية.

أسُسٌ مَثلَث تجاوزا للأبعاد المحورية للأزمة، لا تلغي بذلك باقي الأبعاد الأخرى وإنما تتكامل معها للخروج منها.

فإن كانت "أزمة العقل المسلم"[(١)] وتشوه منهجه وثقافته إنما هي تجلّي وانعكاس لإشكالية المنهجية الإسلامية وأحادية المعرفة وجزئيتها. فإن جوهر "أزمة الإرادة والوجدان المسلم"[(٢)] هو النتيجة الحتمية والطبيعية لهذا التشوه المنهجي المتمثلة في غياب البعد المعرفي الإنساني الاجتماعي في دراسة الوقائع والمتغيرات، وما نتج عنه من جهل بالطفولة وإهمال لها.

إن التعامل الجاد والمعمق لأبي سليمان مع هذه الأزمات الثلاث: أزمة العقل والمنهج، وأزمة الفكر والثقافة، وأزمة الوجدان والتربية، قاده للخلوص إلى أن "مجرد معرفة منهج سليم للفكر، وأسلوب سليم في التربية لا يكفي لحل أزمة تخلف أمة، ولا لإخراجها من دائرة التهميش والسلبية، إلى دائرة الدفع والحراك والفعل والايجابية، وإلى تحقيق الريادة الإنسانية الحضارية الإصلاحية، التي هي رسالتها، والتي هي أهل لها، وتمتلك كل وسائلها ومتطلباتها. فلا يكفي أن يكون لدى الإنسان الأداة إذا لم تكن له غاية أو هدف من حصوله على الأداة ووجودها بين يديه."[(٣)]

---

(١) د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان: أزمة العقل المسلم الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ – ١٩٩٢م – مكتبة المنار الأردن – الزرقاء

(٢) د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان:"أزمة الإرادة والوجدان المسلم البعد الغائب في مشروع إصلاح الأمة" الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م – دار الفكر دمشق

(٣) د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان: الرؤية الكونية الحضارية القرانية المنطلق الاساس للصلاح الانساني"مرجع سابق ص ١٨

هنا يبرز البعد الرئيسي الثالث: "الرؤية الكونية القرآنية" ليحسم في طبيعة الملامح النهائية لهذا التصور وليحقق المزيد من الوضوح والفهم والتفعيل، على اعتبار أن رؤية العالم أو الرؤية الكونية هي الأساس الأول لكل حراك حضاري إنساني بما تحدده من غايات وما توفره من دافع نحو الفعل والإيجابية.

هكذا مَثّل مؤلفاه "أزمة العقل المسلم" و"أزمة الإرادة والوجدان المسلم" محطتين رئيسيتين في خضم البحث في ثنايا القضية المحورية المتعلقة برؤية العالم التي كان "متلبسا بها ولو بشكل غير واع ولا كامل" على حد تعبيره.

وإيمانا منه بأهمية الرؤية الكونية القرآنية، وما يحققه الوعي الموضوعي المؤمن الواثق بها، من هوية وقوة دافعة وسلامة نفسية ومنهجية، أفرد لها أبو سليمان مؤلفا خاصا عنونه: "الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني"؛ أعطى فيه للموضوع حقه من العناية والاهتمام، وأجاب بشكل واع ومقنع على مجموعة من القضايا الأساسية في فهم الذات وضبط علاقتها بالله وبنفسها وبالآخرين.

- فما ماهية وطبيعة هذه الرؤية حسب عبد الحميد أبو سليمان؟
- وما مدى استيعابها للمتغيرات، وتفاعلها مع التحديات والإكراهات التي تواجهها الأمة الإسلامية؟
- ما موقع الآخر في هذه الرؤية؟ وما القيمة المضافة التي تقدمها للإنسانية اليوم؟

حين نتأمل مسيرة الجيل الأول للرسالة، وما مثله من تجسيد للإسلام وتطبيق لمبادئه وقيمه في واقع حياة إسلامية يملؤها الحق والعدل والإخاء والتكافل، يستوقفنا مدى قوة الدفع التي فجرتها الرؤية القرآنية في كيان هذا الجيل، وكيف شكلت الإطار العام الذي يقدم الهداية الكلية لفكر المسلم وضميره وسلوكه لندرك يقينا تفرد هذه الرؤية، وتميزها عن باقي الرؤى الفلسفية أو الوثنية الأخرى.

إنها "رؤية توحيدية غائية أخلاقية إعمارية خيرية حضارية تعبر عن الفطرة الإنسانية السوية، وهي بذلك، وبالضرورة، رؤية علمية سننية تسخيرية تهدف إلى جعل عناصر الفطرة الإنسانية السوية في بؤرة الوعي الإنساني، لتهدي مسيرة الحياة الإنسانية، وترشدها؛ كي يحقق الإنسان ذاته السوية في أبعادها الفردية والجماعية، ويستجيب في وسطية واعتدال لحاجاتها ومتعها، على مدى أفق الوجود الإنساني بكل أبعاده الروحية والإبداعية العمرانية."(١)

فهي بذلك رؤية بناءة إيجابية تحقق الذات الإنسانية وتنسجم مع الرؤية السوية، تتصف بالشمول والوضوح والتلقائية، فهي "إيمان بالله الخالق الحق العدل الذي ليس كمثله شيء، وهي إيمان بأن الإنسان الخليفة مخلوق من نفس واحدة، ليسعى في الأرض على أساس من العدل والتكافل والشورى، قصد الخير والإصلاح والعمران، رعاية لكافة المخلوقات وتكريما لنوعه، وتسخيرا

(١) د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان: الرؤية الكونية الحضارية القرآنية مرجع سابق – ص: ٥٤

لحاجاته، وتمحيصا لمعدنه، وهو ذلك المخلوق الذي يقرر تقواه وإخلاص أدائه واجتهاده ومكانته الأبدية في الدار الآخرة، إن خير فخير، وإن شر فشر."(١)

ومن كل ما تقدم يتضح لنا دقة أبي سليمان في تحديد القضايا الحاسمة في ماهية هذه الرؤية القرآنية، لكونها ترسم ملامحها المستقلة التي تميزها وتمنحها طابع التفرد في ترشيد خط سير التاريخ الإنساني.

- قضية عالمية الرؤية:

أو البعد الإنساني للرؤية، والتي تعكس بحق الجانب الذي تتفرد به الرؤية القرآنية، والإضافة النوعية التي تقدمها للإنسانية اليوم. فدعوة الخطاب القرآني إلى إقامة أمة متميزة وفق رؤية متميزة بقيمها وخصائصها ومقوماتها، لا يُفهم منها الدعوة إلى الانغلاق وإقصاء الآخر وعدم الإكثرات به وله. فالإسلام منذ فجر دعوته كان رسالة عالمية موجهة للناس كافة؛ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، (سورة الأنبياء الآية:١٠٧) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (سورة سبأ الآية:١٠٧) لا يختص بقوم ولا فئة ولا طبقة، ولكنه خطاب إلى الإنسان وإلى العالمين. وهنا يتجلى وجه آخر لروعة الرؤية القرآنية الكونية، وهو البعد التوحيدي التكاملي الكوني الذي يقوم على الغائية والتكامل والتناسق والتفاعل الاعماري البَنَّاء.

"فالأنا والآخر في الرؤية القرآنية الكونية والخطاب القرآني ذكرا أو أنثى، أسود أو أبيض، مؤمن أو غير مؤمن فهم جميعا «إنسان»، يجمعهم ويوحد بينهم وحدة الكل الإنساني، فالأنا والآخر الإنساني أيا كانت هوية هذا الإنسان العرقية أو الثقافة أو الحضارية، فالإنسان والإنسانية، في منظور الرؤية القرآنية الكونية، كائن وكيان واحد خُلقوا سواسية في الأسرة الإنسانية الكبرى؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾. (سورة النساء الآية: ١)"(٢)

- قضية التوحيد وفطرية الرؤية:

يرى عبد الحميد أبو سليمان أن مبدأ توحيد الخالق الخاص، وما يترتب عليه من توحيدية الخلق التكاملية، هو الأساس الذي تبني عليه الرؤية الإسلامية معنى الحياة والكون. بل وعلى هذا المبدأ الأساس ترتكز وتنطلق مبادئ هذه الرؤية ومفاهيمها.

ولما كان الاهتداء إلى الله وتوحيده فطري، كانت الرؤية القرآنية الكونية الحضارية تعبر عن الفطرة الروحية السوية وترشدها، وتزود الإنسان بالدافعية والطاقة الوجدانية اللازمة للبناء والإصلاح والاعمار،"وهكذا فإن الرؤية القرآنية الكونية لمن عرف القرآن وألفه، إنما هي رؤية فطرية إيمانية توحيدية خيرية إعمارية إيجابية، يحقق الإنسان بها ذاته، وينال بها حب الله ومرضاته؛ لأن حب الله

(١) د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان أزمة الإرادة والوجدان المسلم – مرجع سابق – ص:

(٢) د.عبد الحميد أحمد أبو سليمان: أزمة الإرادة والوجدان المسلم – مرجع سابق – ص:٧١

ومرضـــاته في الرؤية القرآنية الكونية الفطرية هو في "تحقيق الذات" كما فطرها الله، وفي تحقيق الحياة الإنســـانية الطيبة الكريمة الخيرة بكل أبعادها الروحية والمادية كما أرادها الله سبحانه وتعالى".[(١)]

- **سيد قطب**

سيد قطب عَلَم من أعلام الفكر الإسـلامي المعاصر له بصـمة خاصـة في تعامله مع الرؤية الكونية الحضـارية الإسـلامية، فقد جعل البحث في الرؤية الإسلامية مقياسا لحركة الأمة ونهضتها، لا مجرد ثقافة ومعارف تنضاف إلى المكتبة الإسلامية وتُزيّن رفوفها. وقد أخذ على نفسـه، في تأصـيله لمفهوم الرؤية، أن يعود إلى أصـل الفكر الإسـلامي ومصـادره، ما حذا به إلى التمييز بين المعالجة الفلسفية والمقاربة العقدية، ليقرر الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يعكر صفاء الرؤية ونقاء منطلقاتها. لقد كان "مشغولاً منذ مطلع الخمســينات [من القرن الماضــي] بالربط بين الفهم الذي تتطلبه عقيدة الإســلام وما يبنى عليها من ســلوك، والفكرة الكلية عن الكون والحياة والإنســان، وكان يَعِدُ بإفراد هذا الموضــوع ببحث متخصــص، إلى أن أخرج كتاب خصــائص التصــور الإســلامي ومقوماته. وقد ناقش أهمية اسـتخدام مصـطلح محدد لهذا الغرض، يعبر عن الفكرة الكلية عن الكون والحياة والإنســان. ولم يكتف باستخدام مصطلح العقيدة أو الفكرة الكلية، ولم يقبل بمصطلح الفلسفة الإسلامية الذي نوقشت عناصر الموضوع تحته، ومع ذلك كان لا بد من اختيار مصطلح محدد، فاختار مصطلح: التصور."[(٢)]

والملاحظ أن سيد قطب لم يعرض التصور الإسلامي عرضا فلسفيا جافا، سيرا على طريقة المتكلمين في تقديم العقيدة بآليات فلســفية إغريقية، بل إنه كان يرى ضــرورة اعتماد منهج العقيدة نفســها في تبليغها للناس، لأنه أســلوب يخاطب القلب ويدفع إلى الحركة النافعة، التي تقدم الخير للبشــرية وتبني الحياة المتوازنة على مســتوى الأفراد والمجتمع، وهو نفســه أســلوب "القرآن في مخاطبة الفطرة البشرية بآيات الله الكونية، المبثوتة حول الإنسان في هذا الكون، والتي يعلم الله سبحانه أن بينها وبين فطرة الكائن البشري لغة مفهومة وإيحاءات مسـموعة! ولم يلجأ المنهج القرآني إلى الأسـلوب الجدلي الذي وُجِد فيما بعد عند المتكلمين والفلاسـفة، لأن الله يعلم أن هذا الأســـلوب لا يصـــل إلى القلوب ولا يتجاوز منطقة الذهن الباردة التي لا تدفع إلى حركة؛ ولا تؤدي إلى بناء حياة"[(٣)]، فدخول المعالجة الفلســفية حقل العقيدة، في رأيه، وانتشــار الجدل والتنظير، فيها وحولها، بدل العمل والتنزيل، من أهم أسباب التراجع الحضاري الذي عرفته وتعرفه الأمة.

لم يرفض سـيد قطب المصـطلح الغربي وحسـب ولكنه رفض معالجة موضـوع الرؤية أو التصـور(المصـطلح الذي تبناه) بآليات فلسـفية، إيمانا منه أن اسـتعمال المنهج الفلسـفي زيغ وخروج عن جادة الطريق، لوجود "فجوة أصـيلة بين منهج الفلسـفة ومنهج العقيدة، وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة، وبين الحقائق الإيمانية الإسلامية، وتلك المحاولات الصغيرة المضطربة المفتعلة التي

---

(١) د.عبد الحميد أبو سليمان الرؤية الحضارية القرآنية – مرجع سابق – ص: ٥٦

(٢) د.فتحي حسن ملكاوي: رؤية العالم والعلوم الاجتماعية – مجلة إسلامية المعرفة- العدد:٤٢-٤٣ – ص:٥٨

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن – الجزء ٨ – المجلد ٣ – الطبعة الثانية عشر ١٤٠٦هـ -١٩٨٦ م – دار العلم جدة المملكة العربية السعودية – ص:١٧٦٦

تتضمنها الفلسفات والمباحث اللاهوتية البشرية..."[١]، فلا بد من البحث بأسلوب العقيدة الأصيل، لأن الرؤية الكلية تبنى على عقيدة الإسلام وما يترتب عنها من علم وعمل، وتوجهات ومواقف.

وبُغية بناء صرح عقدي قِوامه الفطرة الإنسانية ملامس لعاطفة الإنسان وعقله، ومشبع لفضول السؤال فيه، ارتأى سيد قطب ضرورة أن ننهل من نبع العقيدة الصافي حتى لا يشوب التصور الإسلامي المراد بعثه واستنهاضه أي غموض أو تشويه؛ فهو يرى أننا " لا نحتاج أن ننشئ اليوم هذا التصور. فقد أنشأه الله. ولكننا نحتاج إلى استحياء مقومات هذا التصور في ضمير العصبة المؤمنة في الأرض، وتحويله إلى حركة إيجابية دافعة، لا إلى معرفة ثقافية باردة!"[٢]؛ ولا يتأتى ذلك إلا بتنزيل نصوص الوحي على واقع الناس، وتحريك هذا الواقع من منطلق تصور شامل للإسلام وهي شمولية مطابقة للفطرة ومواكبة للزمان والمكان، وهذا وجه من أوجه تفرد الحضارة الإسلامية وتميزها عن حضارات الأمم الأخرى.

لقد كان للقرآن الكريم الأثر البالغ في فكر سيد قطب وتوجهه، لأنه يقدم الإطار العام لبناء التصور الإسلامي الذي يعيد للأمة مجدها ويخرجها من دائرة التخلف الحضاري، ليعود لها زمام المبادرة. في إطار إصلاح جذري لأوضاع الأمة، أساسه العقيدة الإسلامية.

وقد بحث سيد قطب فيما يميز هذا التصور الإسلامي من خصائص، وافتتح تناولها بالربانية باعتبارها مصدر باقي الخصائص معتبرا "أن التصور الإسلامي هو التصور الإعتقادي الوحيد الباقي بأصله 'الرباني' وحقيقته الربانية"[٣]، ويؤكد على أن المصدر الإلهي كله من عند الله ولم يشارك الله أحد في إنشائه وقد قام الرسل، عليهم السلام، بنقله إلى الناس دون التصرف فيه، فهو رباني المصدر لا دخل فيه للبيئة ولا للزمن ولا لفكر أحد من العالمين، وبهذا فهو يتميز بخاصية 'الثبات'، "فهناك ثبات في مقومات هذا التصور الأساسية وقيمه الذاتية فهي لا تتغير ولا تتطور"[٤].

إن نفي البشرية عن التصور الإسلامي هو نفي ضمني لفكرة الجزئية، وإسناده لله تعالى إقرار لشموليته، فالله سبحانه هو الذي أنشأ هذا الكون ابتداء، وهو الذي يُحدِث فيه بمشيئته كل تغيير جديد، وكل انبثاق وليد. وخاصية الشمول تقتضي رد كل شيء في الوجود إلى مبدع الكون وبارئه سبحانه وتعالى. ويرى سيد قطب أن هذه الخاصية تجعل منه تصورا يرفض كل عنصر غريب عليه، ففيه أمر الكون كله وأمر الحياة والأحياء وأمر الإنسان والأشياء، وبهذا صَلُح "أن يكون منهج حياة شاملا متكاملا"[٥] لا اضطراب فيه ولا قصور.

(١) سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي – الطبعة الشرعية السابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م – دار الشروق القاهرة – مصر – ص:١٢

(٢) سيد قطب: مقومات التصور الاسلامي – الطبعة السابعة ٢٠١٠ – دار الشروق القاهرة – مصر – ص:٢٤

(٣) سيد قطب: خصائص التصور الاسلامي - مرجع سابق – ص:٥١

(٤) سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي - مرجع سابق – ص:٨٥

(٥) سيد قطب: خصائص التصور الاسلامي - مرجع سابق – ص:١٣٠

وانطلاقا من قوله تعالى﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ (سورة الملك الآية ٣) قدّم خاصية التوازن في هذا التصور، والتي تنتظم في عدة موازنات، وتنآى به عن الغلو والاندفاع والتصادم، فهو تعبير عن توازن الكينونة الإنسانية وتلبية كل حاجاتها دون إفراط ولا تفريط، إذ يدفعه إلى القيام بواجباته نحو خالقه ونحو ذاته والوجود، وهو سلوك إيجابي يدخل تحت مجال خاصية الإيجابية الفاعلة المنطلقة من الصفات الإلهية في التصور الإسلامي، بعيدا عن قصور وسلبية التصورات البشرية، سواء التي نشأت في رحم الفلسفة أو التي أخذت صبغة دينية زائفة. "إن التصور الإسلامي ليس تصورا سلبيا يعيش في عالم الضمير. قانعا بوجوده هناك في صورة مثالية نظرية! أو تصوفية روحانية! إنما هو <تصميم> لواقع مطلوب إنشاؤه، وفق هذا التصميم..."[١]، فهو يتعامل مع الواقع وحقائقه، لا ما يُفترض أن يكون عليه.

إن خاصية الواقعية هذه هي التي تجعل التصور الإسلامي قابلا للتحقق والتنزيل الواقعي في حياة الناس سعيا إلى الرقي بالبشرية وتحقيق كمالها وآمالها.

وبما أن التوحيد هو مرتكز العقيدة الإسلامية وأساسها وهو الذي يجعلها تتفرد من بين سائر التصورات، فسيد قطب يرى أنه خاصية ومقوم للتصور الإسلامي.

وبهذا كان انتقاله من الخصائص إلى المقومات انتقالا سلسا؛ حيث تطرق إلى الحديث عن "مجموعة الحقائق العقدية الأساسية التي تُنشئ في عقل المسلم وقلبه ذلك التصور الخاص للوجود، وما وراءه من قدرة مبدعة وإرادة مدبرة، وما يقوم بين هذا الوجود وهذه الإرادة من صلات وارتباطات"[٢].

وفصّل سيد قطب حديثه عن مقومات التصور الإسلامي، وجعلها تؤول إلى العبودية الخالصة لله وحده بلا شريك "إذ ينبغي أن يتجه الاهتمام أولا إلى تخليص ضمائر الأفراد من العبودية لغير الله في أية صورة من صورها"[٣]، ورأى أن التصور الإسلامي يفصل بين الألوهية والعبودية، في الطبيعة والمقام والخصائص، واعتبر العبودية شاملة للوجود كله عِلما أنها "قضية الاعتقاد الأولى والحقيقية في جميع الرسالات السماوية"[٤]، مثبتا ذلك بالأدلة القرآنية الواضحة.

ومنها انطلق ليُبين أن التصور الإسلامي لم يكن "مجرد تصور اعتقادي، أو مجرد شعائر تعبدية... ثم ينتهي الأمر، ويتم الدين!... إنما كان مسألة واقعية حركية..."[٥]، منطلقة من حقيقة الألوهية؛ إنها حقيقة الذات الخالقة لكل شيء المدبرة لكل شيء المؤثرة في كل شيء "فشهادة أن لا إله إلا الله.. تتطلب أن يصل الإحساس بوجود الله ـــ سبحانه ـــ ووحدانيته حد اليقين

(١) سيد قطب: خصائص التصور الاسلامي – مرجع سابق – ص:١٨٥

(٢) سيد قطب: مقومات التصور الاسلامي – مرجع سابق – ص: ٤١

(٣) سيد قطب: معالم في الطريق – الطبعة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م- دار الشروق، بيروت – دار الثقافة، الدار البيضاء – ص: ٩٦

(٤) سيد قطب: معالم في الطريق - مرجع سابق – ص:٨٣

(٥) سيد قطب: معالم في الطريق - مرجع سابق – ص:١٣٤

الناشــئ من مثل الرؤية والمشــاهدة."[١] فإذا كانت مشــاهدة المخلوقات دليل على الخالق، وتُقَوي في داخل النفس البشــرية الإحســاس بالألوهية، وتُجَلّي علاقة الكون بربه وانتظام العلاقات بين المخلوقات، فإنه من الطبيعي ألا ترد حقيقة الكون إلا في سياق الحقيقة العظمى؛ "حقيقة الألوهية"، فكل عوامل الكون جاءت بتقدير وتدبير إلهي، وجعلها مسخرة ومسيرة بما فيها حقيقة الحياة التي خلقها الله بقدر؛ "فهذا الوجود [بكل مفرداته] خاضع مستسلم للمشيئة التي تدبره، والقدر الذي يحركه، والناموس الذي ينسقه."[٢]

إذا كان سيد قطب افتتح حديثه عن مقومات التصور الإسلامي بالألوهية والعبودية، فقد اختتمه بالحديث عن أهم حلقة في عقد التصور الذي جاء به؛ وهو الإنسان. والذي زَوَّده الخالق جلّ وعلا بمجموعة من خصائص الاستخلاف، التي تؤهله لحسن التعامل مع الكون، وقبل ذلك حسن التعامل مع خالقه. وأرفع درجات هذا التعامل: إخلاص العبودية له، وفق ما حدّده سبحانه وتعالى في التصور الأساسي للوجود، من غير أن يكون للعقل البشري أي دور يذكر في تقرير أصول هذا التصور وثوابته، "فالناس كلهم لا يعلمون..لا يعلمون ذلك العلم المطلق، الذي يحتاج إليه وضع منهج للحياة البشرية.. ومن ثم لا يكون لهم إلا الهوى وإلا الجهل حين يتصدون لِما ليس من شأنهم ولِما ليس من اختصاصهم.."[٣]، بل يجب أن ينصب كل اجتهاد العقل البشري في تنزيل وتطبيق هذا التصور على واقعه المتجدد الحافل بالمتغيرات والمستجدات التي لا ولن تتوقف إلا بانتهاء البشرية على حد تعبيره، والمجال هنا رحب كفاية كي يُطلق فيه العنان للعقل ليُبدع ويُنتج.

(١) سيد قطب: مقومات التصور الإسلامي – مرجع سابق — ص:١٩٢

(٢) سيد قطب: معالم في الطريق – مرجع سابق — ص:١٠٩

(٣) سيد قطب: هذا الدين – الطبعة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣ م – دار الشروق، بيروت — دار الثقافة، الدار البيضاء — ص: ٢٣

المبحث الثاني

أسماء الله الحسنى الخيار الاستراتيجي وتفعيل هذه الرؤية تربويا:

إذا كانت الرؤية الحضـــارية القرآنية تتأســـس على البعد العقدي وتقوم عليه، فلا بد أن تكون العقيدة منطلق أي تفعيل لهذه الرؤية، وأجرأة لمقتضياتها.

ولعل الأسئلة التي تطرح نفسها بإلحاح هنا:

- كيف يمكن تنزيل هذه الرؤية تربويا؟
- وما هي المنطلقات والآليات المنهجية الكفيلة ببلورة هذه الرؤية، وطرحها في قالب تربوي يلائم الفئة المستهدفة بها؟
- وإذا كانت معرفة الله هي لب العقيدة وأساسها، فكيف يمكن أن تستثمر هذه المعرفة بكل أبعادها في تشكيل هذه الرؤية؟

إن الإيمان بالله هو الركن الأســـاس في البناء العقدي فهو منطلق باقي الأركان والمرجع الذي تؤول إليه؛ فأركان العقيدة مرتبطة بركنها الأول ومتصلة به اتصالا وثيقا، فالإيمان بالكتب متصل بالمنهج الرباني بشكل مباشر والإيمان بالرسل والملائكة مرتبط بحمل هذا المنهج وتبليغه للناس. وأما الإيمان بالقدر فيتصـــل اتصـــالا مباشـــرا بالوحدانية، في حين يرتبط الإيمان باليوم الآخر بعدل الله سبحانه وتعالى وبأنه الحق.(١)

ولأن الأسماء "هي الوســـائل التي تعرف الله بها إلى خلقه، وهي النوافذ التي يطل منها القلب على الله مباشـــرة، وهي التي تحرك الوجدان وتفتح أمام الروح أفاقا فسيحة تشاهد فيها أنوار الله وجلاله"(٢)، فإن الانطلاق منها لبناء هذه الرؤية لا يحقق التشكيل المنهجي المعرفي العقلي للمتعلم فحســـب، بل يتعداه لبناء وجداني نفســـي متفاعل مع هذه المعرفة، محققا بذلك تفعيلا الفطرة السليمة وتطويرا لها.

ولهذا يمكن الرهان على الحمولة التربوية لأسماء الله الحســـنى، كما يمكن اســـتثمار المعاني، الإيمانية المبثوثة فيها والانطلاق منها لبلورة رؤية تربوية تترجم هذه المضامين إلى قيم تربوية إيجابية تمكن المتشبع بها من تجاوز الفهم والإدراك إلى الحركة والعمل وفق تصور يضـــمن له حســـن التعامل مع مقام الألوهية ومع نفســـه، والعلاقات التي تربطه بالكون من حوله بشـــكل يحصـــن ثوابته ويحقق له الانفتاح ومواكبة المتغيرات.

أسماء الله الحسنى منطلق التفعيل التربوي للرؤية:

إن تنزيل هذه الرؤية العقدية تربويا، لا بد وأن يستحضر أبعادا وجوانب عدة منها ما هو متعلق بـ:

(١) راجع فصل خصائص العقيدة: خاصية التكامل والترابط. ركائز الإيمان / محمد قطب.ص ٤٢٨ وما بعدها.

(٢) محمد السيد سابق: العقائد الإسلامية – مرجع سابق – ص:٢٤

- طبيعة هذا الدين ومنهجه ومقاصده وغاياته.
- طبيعة وخصوصية الفئة المقصودة والمستهدفة بهذه الرؤية.
- الآليات المنهجية الضامنة لبلورة هذه الرؤية بشكل يزاوج بين البناء النفسي السليم، والتشكيل العقلي المعرفي الممنهج.

لذلك كان لزاما علينا اختيار منطلق وأساس لهذه الرؤية، يراعي هذه المحددات المنهجية. ولعل أول سؤال يوجه إلينا ونحن نراهن على الأبعاد التربوية لأسماء الله الحسنى ونعلنها خيارا تربويا لتشكيل هذه الرؤية: لماذا الأسماء تحديدا من بين الطروحات العقدية المتعددة؟ وكيف تراعى المحددات المنهجية المطلوبة؟

وهذا ما سنحاول كشفه وتوضيحه من خلال معالجة النقط التالية:

- مركزية التوحيد في البناء العقدي.
- أسماء الله الحسنى وأفق التشكيل العقلي المعرفي والنفسي الوجداني للمتعلم.

١. مركزية التوحيد في البناء العقدي:

لقد قام هذا الدين على قاعدة "لا إله إلا الله"، وعليها أقام نظامه، وربَّى رجاله، فساروا في الأرض حاملين لواء الدعوة إلى الله لتحرير الأفكار والرقاب وإعمار الأرض وتحقيق العدالة وإقامة الحضارة، فعاشوا بالله ومع الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، (سورة الأنعام الآية: ١٦٢) مدركين أن معرفة الله هي أساس كل المعارف لأن "من عرف الله عرف ما سواه ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل."(١)

إن عقيدة الإسلام تدور حول محور واضح وصريح هو التوحيد "توحيد الله ربًّا: بمعنى الإقرار بوحدانيته في الفضل والإنعام والعطاء، وكل مظاهر التربية، البارة، المِعطاءة التي تُفهم من لفظ الربوبية.

وتوحيد الله تعالى إلهاً بمعنى إفراده بالعبادة، فلا نتجه بأي مظهر من مظاهر العبودية لغيره."(٢) ومن هنا جعل الإسلام للراغب في الهداية إلى جوانب الخير والفلاح فيه، مدخلا واحدا يلج منه، وشعارا دائما، يعلنه منهجا لحياته كلها، هو كلمة التوحيد. "فالشهادة بوحدانية الله تتضمن كمال العقيدة في الله من جهتي الربوبية (الخلق والتربية) والألوهية (العبادة).

والشهادة برسالة محمد تتضمن التصديق بكمال العقيدة في الملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، وأصول الشريعة والأحكام."(٣) فكانت كلمة التوحيد الجامعة لعقائد الإسلام وأصول شرائعه.

(١) ابن القيم الجوزي: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة ج ١ دار الكتب العلمية بيروت — منشورات محمد علي بيضون ١٩٩٨. ص ٨٦,

(٢) د. سيد رزق الطويل: العقيدة في الإسلام منهج حياة – العدد ٢٤٥ السنة الحادية والعشرون — صفر ١٤٠٢هـ – ديسمبر ١٩٨١ م – ص ١٧

(٣) الإمام الأكبر محمد شلتوت — الإسلام عقيدة وشريعة — مرجع سابق – ص ١٨

لقد أثبتت التجربة الحضـــارية الإســـلامية التي غيرت العالم، وجددت الحضـــارة الإنســـانية، مركزية وفاعلية التوحيد في البناء الإنســاني. فمعرفة الله الحقّة ذات أثر ضـخم يتجاوز التصـور في عمقه وشموله لأبعاد الحياة كلها، حينما يعيشـها الفرد واقعا فكريا وشعوريا وسلوكيا.

ولما كانت ذات الله توصـف ولا تدرك، كانت أسماؤه وصـفاته طريق الوصـول إليه، فهي الوسـائل التي تعرف الله بها إلى خلقه، وجعلهم يتعرفون من خلالها عليه. ولعل هذا ما يمنحها موقع الصـدارة في العقيدة الإسـلامية. فبها يتحقق أصـل الدين وأسـاسـه: معرفة الله والإيمان به.

إن أسماء الله الحسنى من أهم الوسائل المعينة على ترسيخ العقيدة الصحيحة في النفوس. وبناء العلاقة بين الإنسان وخالقه على أســاس من الحب ينعم فيها الإنســان بحبه لله وحب الله له. فَيُعَبِّدُ نفســه لله بإرادة حرة. فمحال أن يعرفه ثم لا يحبه، وأن يســمع داعيه ثم يتأخر عن الإجابة. كيف وهو خالقه ورازقه وهاديه، والأرحم به من أمّه. وهو الذي بكل ما منحه من نعم وقدرات يحبه ويرعاه، يُقِيل عثرته ويقبل توبته، ويرشد مسيرته ويسعد مآله.

٢. أسماء الله الحسنى وأفق التشكيل العقلي المعرفي والنفسي الوجداني للمتعلم

للطفل حاجات ورغبات، تختلف باختلاف مراحل نشـأته والظروف النفســية والاجتماعية التي تحيط به ويتفاعل معها. وتعد المرحلة العمرية الممتدة بين ٦ سـنوات و١٢ سـنة، المرحلة الابتدائية بالاصـطلاح التربوي، من أهم المراحل وأخطرها، ففيها تتفتح المواهب وتنمو القدرات بشكل يساعده على التعلم والقابلية للتوجيه والتشكيل العقلي والبناء العاطفي النفسي، الذي تسعى إلى تحقيقه المدرسة كشريك للأسرة.

ويمكن القول أن هذا ميدان رهان المدرســة بكل مكوناتها، ســواء ما تعلق بالمواد أم بالمناهج وغيرها. والتربية الإســلامية مادة تعليمية معنية بتحقيق هذا الهدف، فهي كغيرها من المواد، تتبنى إســتراتيجية التأثير الإيجابي في جوانب شــخصــية المتعلم المختلفة، (عقلية، نفسـية، سـلوكية...) الشـيء الذي يفرض التفكير في اختيارات تربوية تلبي حاجات الطفل في هذه المرحلة، وتنطلق منها، وتتناغم معها، ولعل السؤال المنسجم مع خيارنا التربوي في هذا البحث هو:

- كيف تلبي أسماء الله الحسنى هذه الحاجات؟
- وكيف تشكل البناء النفسي الوجداني للمتعلم؟

إن حاجات الطفل المتنوعة هي مداركه ومشاعره، لتحقيق ذاته، واكتساب ما يغني شخصيته وإقامة علاقاته، "فالطفل الإنساني يكتسب فهم نفسه وعلاقاته وأدواره الفردية والجماعية من مصدرين: الأول منها فطري ينبع من إحساسه بحاجاته ومدركات فطرة عقله، والثاني ينبع من كليات مفاهيم ثقافة مجتمعه".(١)

ولعل أهم هذه الحاجات النفسية:

(١) د.عبد الحميد أبو سليمان: "أزمة الإرادة والوجدان المسلم"- مرجع سابق - ص:١٣٦

- **الحاجة الى الحب**: "فالحب في كل مراحل الطفولة هو عماد التربية السليمة الناجحة"(١). يؤسس الطفل عليها علاقاته، ويمكن استثمارها في تأصيل حب الله عز وجل في نفسه، من خلال أسماء الله الحسنى التي تشعره بحب الله له، فالله سبحانه وتعالى سَخَّر مخلوقاته كلها له، ومَكَّنه من التصرف فيها ودَلَّلها له لينتفع بها قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ (سورة إبراهيم الآية:٣٣)، وهذا يبعث على حب الله وتعظيمه. إن كل اسم من أسمائه عز وجل يُشعر بحب الله لعباده وإكرامه لهم، وهذا باعث على تعظيم حب الله في النفوس فالودود والرحيم، والعفو والغفور...، كلها أسماء تلبي الحاجات إلى الحب والود، وتخلق الاطمئنان لإشباعها.
- **الحاجة إلى الأمن**: "إن الطفل بحاجة ماسة إلى الشعور بالأمن ووجود من يحميه"(٢). وإذا أسس الطفل علاقاته على الحب شعر بالأمان والأمن داخل هذه العلاقات، لذا فعلاقته بخالقه تطمئنه لأنه سبحانه قادر على حمايته وحفظه من كل سوء ومكروه، ولهذا الإحساس أثر بالغ في نموه النفسي، يشعره بالاستقرار وعدم الخوف من المستقبل فالوكيل المدبر الخبير سبحانه عز وجل بيده كل شيء، وما عليه إلا الثقة بربه. وأن الخير كل الخير فيما سيختاره له، والعبرة بمآلات الأمور وخواتمها.
- **الحاجة إلى الرعاية والتوجيه**: مهما نزع الطفل إلى الاستقلال واثبات الذات يبقى "بحاجة إلى إطار توجيهي، فهو مع حب الاستقلال والتميز إلا أنه يشعر بأن ما لديه من معارف وإمكانات لا يؤهله للاختيار الراشد في كل الأحيان"(٣).ومع أنه بإمكانه اتخاذ القرارات الصائبة من تلقاء نفسه، إلا أنه يبقى دائما في حاجة إلى الرعاية والتوجيه بالرأي السديد، الذي يعينه، ويأخذ بيده إلى كل خير ويبعده عن كل شر. ويقوده إلى معالي الأمور وينآى به عن سفاسفها. وليس في مقدور أحد أن يعلم ما ينفع وما يضر في كل الأحوال والظروف إلا الخالق العليم بما كان وما سيكون، سبحانه علام الغيوب.

وهكذا ففهم أسماء الله الحسنى واستيعاب دلالاتها التربوية يدفع المتعلم إلى الاقتناع أن الله تعالى قادر على توجيهه إلى ما ينفعه، ويصلح شؤونه، وسواء التزم بذلك أم قصر فسيكون على دراية بالصواب، وتتقوى في نفسه ثقته بربه وما يختاره له

- **الحاجة الى المدح والتقدير**: يحتاج الطفل "إلى أن يشعر باحترام ذاته وأنه جدير بالاحترام وأنه كفء يحقق ذاته ويعبر عن نفسه في حدود قدراته وإمكانياته"(٤). فسواء كان الإنسان طفلا أو في مراحل عمره الأخيرة لا تتوقف حاجته إلى التشجيع والتقدير، والله سبحانه وتعالى جعل لبني البشر شرفا وفضلا، فهو يقول في محكم تنزيله مدحا وتقديرا لهم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾. (سورة الإسراء الآية: ٧٠) وهو تكريم يشعره بالعزة والكرامة.

(١) د.عبد الحميد أبو سليمان: "أزمة الإرادة والوجدان المسلم"- مرجع سابق – ص: ١٣٧

(٢) عبد الكريم بكار: من أجل انطلاقة حضارية شاملة (أسس وأفكار في التراث والفكر والثقافة والاجتماع) سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة – الطبعة الأولى ١٩٩٤- دار المسلم للنشر والتوزيع – ص:١٣٣

(٣) د.حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو"الطفولة والمراهقة" – الطبعة الثامنة ١٩٨٦ – عالم الكتب – القاهرة – مصر – ص:٢٦٨

(٤) د.حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو"الطفولة والمراهقة" – مرجع سابق – ص:٢٧٠

عموما هذه أهم الحاجات النفسية التي يتوقف النمو السوي لشخصية المتعلم إبان هذه المرحلة، ولا سبيل لأي نجاح مهما اختلفت وتعددت المشارب والفلسفات والخيارات التربوية إذا لم تراع هذه الحاجيات.

الإيحاءات التربوية لأسماء الله الحسنى

ورد ذكر أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم في أربع مواضع:

- ✓ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (سورة الأعراف. الآية:١٨٠)
- ✓ ﴿ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (سورة الإسراء الآية:١١٠)
- ✓ ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (سورة طه. الآية:٨)
- ✓ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (سورة الحشر. الآية:٢٤)

وفي السنة النبوية الشريفة جاء ذكر أسماء الله الحسنى:

روى الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسمًا. مائةً إلَّا واحدٍ. من أحصاها دخل الجنَّةَ). وزاد همَّامٌ عن أبي هريرةَ، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (إنَّه وِترٌ. يُحبُّ الوِترَ)[(١)]

تحمل أسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى دلالات وأبعاد تربوية متنوعة يمكن الإفادة منها في بناء شخصية الطفل وفق ما ترمي إليه الرؤية الحضارية القرآنية كما أفاد منها الأنبياء والمرسلون وصحابتهم الكرام.

لقد كان لأسماء الله الحسنى حضور قوي تربية جيل الرسالة، فبالأسماء تمت تنقية أرواحهم من الشرك وفاضت مشاعرهم وتأصلت حميتهم لهذا الدين، وتهذبت أخلاقهم وانضبط سلوكهم، فكانوا ربانيين في عبادتهم وفي كل شؤونهم، لأنهم عرفوا ربهم حق المعرفة، فكانوا رحماء فيما بينهم فهو الرحيم، وكانوا كرماء فهو الكريم، وكانوا متسامحين فهو الغفور، الغفار، التواب، العفو...

إن تأمل أسماء الله الحسنى ودراسة مدلولاتها يقود إلى اكتشاف إيحاءات تربوية كبيرة الفوائد عظيمة التمرات. لها انعكاساتها وآثارها على الفرد والأسرة والمجتمع. فما هي هذه الإيحاءات؟

لأسماء الله الحسنى دلالات وأبعاد تربوية يمكن تصنيفها على أساس دوائر ارتباط هذه الأسماء كما يلي:

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه تحت رقم ٢٧٣٦- ورواه الإمام مسلم في صحيحه تحت رقم: ٢٦٧٧

أسماء الله الحسنى

الذات الإلهية:

الواحد، الأحد، الحق،

القدوس، الصمد،الغني،

الأول، الآخر، القيوم.

التكوين:

الخالق، البارئ،

المصور، البديع.

القوة والتدبير:

القادر، الوكيل، الولي،

الحافظ، الملك، الفتاح،

الحسيب، المنتقم،

المقيت.

العظمة والجلال:

العظيم، العزيز،

العلي، المتعالي،

القوي، القهار،

الجبار، المتكبر،

الكبير، الكريم،

الحميد، المجيد،

المتين، الظاهر

الحب والرحمة:

الرؤوف،الودود،اللطيف

الحليم، العفو الشكور،

المؤمن، البار، الرزاق،

الوهاب،الواسع

العلم:

العلي، الحكيم، السميع،

الخبير، البصير،

الشهيد، الرقيب، الباطن،

إن أسماء الله الحسنى بدلالاتها المختلفة دليل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وجلال علم التوحيد.

إنها تشعر القلب المتشبع بمعانيها بالطمأنينة، وتزيد من قوة تعلق العبد بمعبوده، فتقوي إيمانه، وتوجه سلوكه، وترتقي بقيمه، وتسمو بأخلاقه، وتنمي مداركه.

فالأسماء الحسنى والصفات الفضلى تبني الإنسان وتطهر داخله، لينعكس هذا الطهر على حاله وعلى مجتمعه، ويتحقق له نجاح الدنيا والآخرة، فشتان بين إنسان مصدر حركته بداخله، ورقيبه من ذاته، وبين من تحركه مؤثرات خارجية وتجبره على الفعل والحركة ترسانة من القوانين البشرية. ﴿اللَّـهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة النور الآية٣٥)، إذا استقبله قلب إنسان وعرفه حق المعرفة كان على الصراط المستقيم، طيب النفس، سليم العقل، نافعا لأمته، هاديا للأمم من حوله، ساعيا لإخراجها من الظلمات إلى النور، وهذه أسمى المعاني التربوية وأشرفها، وهو ما ترمي إليه الرِؤية الحضارية القرآنية، وما نراهن عليه في محاولة إصلاح واقعنا التعليمي.

فالأسماء الحسنى أنوار لمن انتقل بها من الحفظ والذكر، والتفكر والتدبر، مع أهمية ذلك، إلى العمل والحركة والهداية والتطبيق في دروب الحياة وتفاصيلها اليومية، بهدف محدد ورسالة واضحة تتوجه للعالمين، إنقاذا للناس من ضنك العيش وظلام الماديات الدامس، وطوفان الشهوات الكاسح.

لذا كان من الضروري تبني مقاربة تربوية ببعد تأصيلي لبناء التصورات ولرؤى. وهذا ما تحققه منظومة أسناء الله الحسنى، فكما تم اعتمادها في تأسيس عقيدة المؤمن ابتداءً يمكن التأسيس عليها لتقديم رؤية إسلامية واضحة المعالم متكاملة الأركان، وكذا إصلاح منظومتنا التربوية بما يضمن نهضة الأمة والمحافظة على ثوابتها.

تتضمن أسماء الله الحسنى دلالات وأبعاد وإيحاءات تربوية يمكن استثمارها في بلورة قيم عليا وسلوكات نافعة واكتساب علوم متطورة، ومن ثم بناء مجتمع قوي ومتوازن.لكن كيف تحقق الأسماء الحسنى فعلها في نفس الإنسان وتقوده إلى كل هذا الخير؟ وما علاقة أسماء الله الحسنى بجوانب الرؤية المختلفة؟

١. إبراز الجانب الإيماني التوحيدي في الرؤية

في علاقتها بالخالق:

*تنزيه الله عن النقائص: فهو وحده المعبود بحق. الواحد، الأحد، الحق، القدوس، وكل

*ما عداه ومن عداه عباد له.

دائرة الذات الإلهية:

الواحد- الأحد- الحق- القدوس- الصمد- الغني- الأول- الآخر- القيوم.

في علاقتها بالعالم:

*حتمية المساواة بين الناس لانتفاء أي تميز مهما كان باعثه. فهم جميعا اناس يوحد بينهم الانتماء لوحدة الكل الإنساني

*ضابط العلاقات بين بني البشر البر والقسط والعدل.

*الكون خاضع لله مسخر للإنسان تحقيقا للعبودية

*تنمية الثقافة الحقوقية والاقتناع بها

فى علاقتها بالذات:

*تحرر العقل الإنساني من ذل العبودية لغير الله.

*الاحساس بالكرامة والاعتزاز بالإنسانية.

*الشعور بالحرية والمسؤولية.

٢.إبراز الجانب القيمي الأخلاقي للرؤية

دائرة العظمة والجلال:
العظيم- العزيز-
العلي- المتعالي-
القوي القهار- الجبار
المتكبر- الكبير-
الكريم- الحميد- المجيد
المتين- الظاهر .

*تقوية وازع الافتقار إلى الله، والاعتماد والتوكل عليه ولاستغناء به عما دونه.

*الحياء من الله والبعد عن معصيته.

في علاقتها بالعالم:

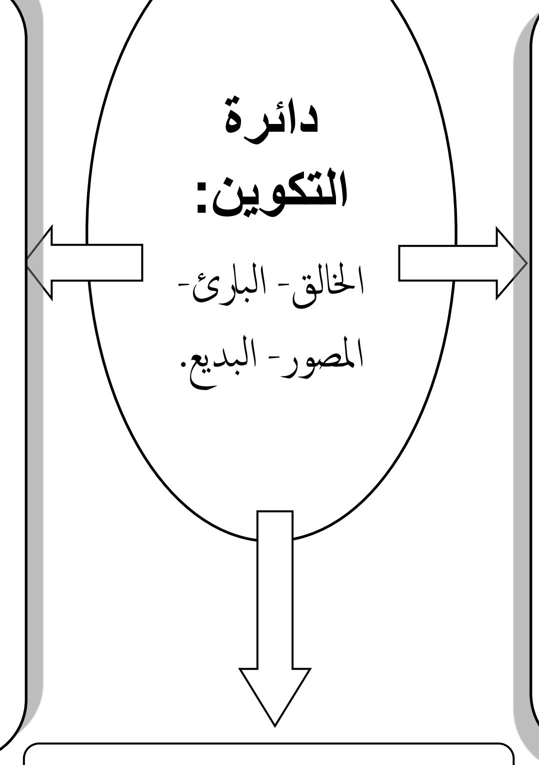
*التعامل مع العالم الكوني والإنساني على أساس منظومة من القيم مستمدة من القيم الربانية.

فى علاقتها بالذات:

*استصغار النفس الانسانية وتربيتها على التواضع ومكارم الأخلاق.

*تنمية البعد القيمي، وغرسه تربويا في وجدان أبناء الأمة.

٣. إبراز الجانب الجمالي الغائي في الرؤية



في علاقتها بالخالق:

*تعميق توحيد الله في النفس باستنهاض إحساسها الفطري لمظاهر الابداع والتناسق والجمال في الخلق. فهو منشئ الابداع وخالق الجمال ابتداء.

*الخالق وحده المستحق للعبودية ﴿**يا آيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم**﴾

*شرع الله هو المنهج الأقوم والأصلح والأولى بالإتباع: ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾

في علاقتها بالعالم:

*التعبير عن الأبعاد الجمالية في الوجود بأساليب وتعابير منضبطة للفطرة السوية والمعايير الشرعية.

*الإعمار والاستخلاف والإصلاح من مظاهر العبادة الحقة.

*السعي إلى اتقان العمل والتشجيع على الإبداع.

*غرس الثقافية البيئية في النفوس.

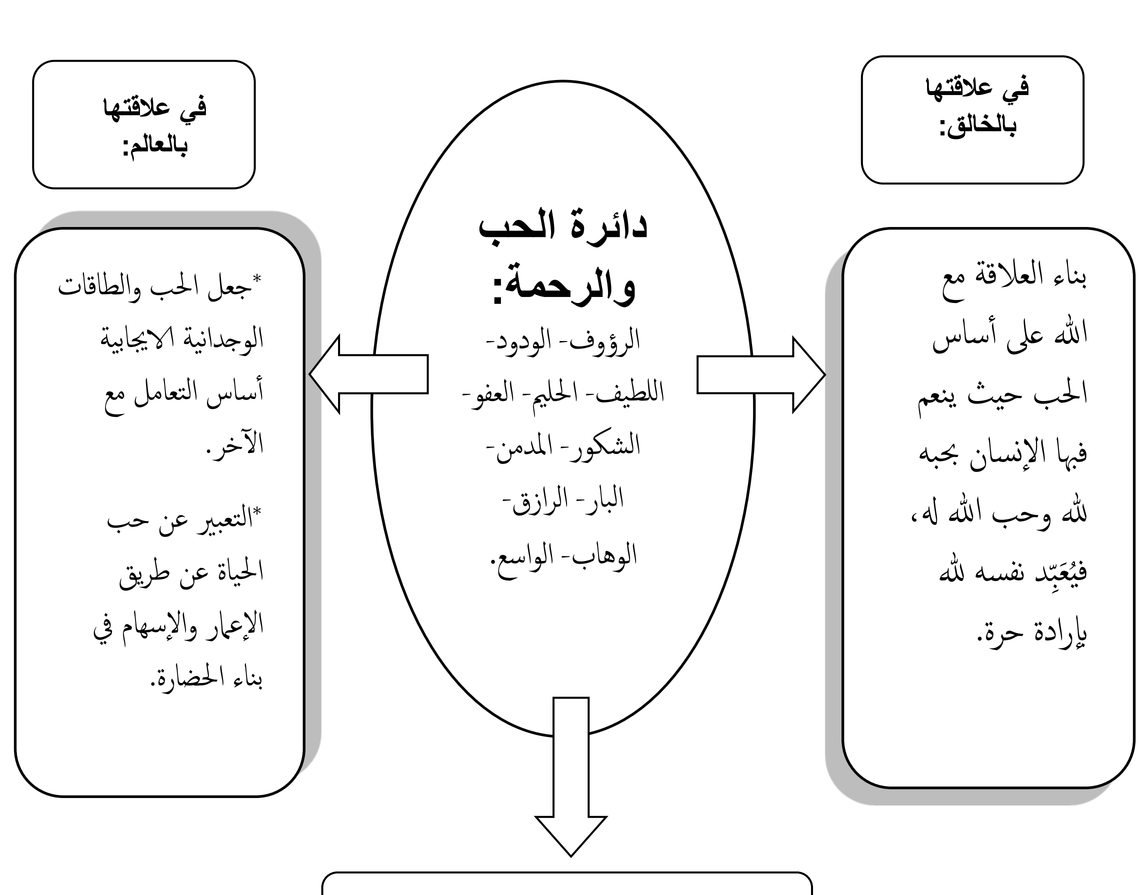
فى علاقتها بالذات:

*العبادة غاية الخلق. *تنمية الإحساس بالجمال.

*بعث روح الإبداع والإتقان والإبتكار.

*الإرشاد إلى كيفية التعامل مع الحاجات الفطرية السوية وإشباعها بالوسائل الصحيحة دون إفراط أو تفريط.

٤.إبراز الجانب الفطري والايجابي في الرؤية



*تزويد الذات الإنسانية بالدافعية والطاقة الوجدانية اللازمة لبناء الحياة الخيرية وإعمار الأرض.

*تحقيق الذات الإنسانية السوية لا إلغاؤها.

*تعزيز احترام الإنسان لذاته ووعيه بأنه كائن مكرم.

٥.إبراز الجانب العلمي السنني فى الرؤية

دائرة العلم:

العلي- الحكيم- السميع- الخبير- البصير-الشهيد الرقيب-الباطن المهيمن.

في علاقتها بالخالق:

*بناء الاعتقاد على أساس من العلم واليقين بدل التقليد والوراثة.
*العلم النافع يكسب الخشية من الله ويدفع إلى العمل الصالح.
*الرضى بقضاء الله وقدره.
*العلم هبة من الله عز وجل ينبغي استقباله بكل مداركنا لنحقق به نهضة الأمة.

في علاقتها بالعالم:

*نبذ عقلية الخرافة والشعوذة ونشر الوعي العلمي السنني.
*تطور الإنسانية ونضجها لا يتم إلا بالتعامل العقلي العلمي الموضوعي السنني الشمولي.
*إصلاح المسار الثقافي والتربوي باستعادة بعد العلمية ومنهجها.

في علاقتها بالذات:

*التنشئة على حب العلم والالتزام به، ليعم نفعه البشرية.
*خلق الرقابة الذاتية واستحضار مراقبة الله عز وجل.

٦.إبراز الجانب الإعماري الحضاري للرؤية على أساس من الحرية والعدل والشورى

دائرة القدرة والتدبير:

القادر- الوكيل- الولي- الحافظ- الملك- الفتاح- الحسيب المنتقم- المغيت.

في علاقتها بالخالق:

تعميق حقيقة الألوهية من خلال استشعار إحاطته الذات الإلهية وهيمنتها وتدبيرها.

في علاقتها بالعالم:

بناء المجتمع وتدبير علاقاته وشؤونه على أساس الحرية والشورى.
المحافظة على الثروات وترشيد استعمالها.
تحقيق العدالة الاجتماعية والوعي بالتكافل والتضامن.

في علاقتها بالذات:

خلق الشخصية القوية المسؤولة المنفتحة على الآخر على أساس التفاعل والتكامل والتعاون.
تربية الذات على مبدأ الحرية وتحقيق الكرامة الإنسانية.
تنمية الحس المنهجي التنظيمي في كافة المجالات.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإمام الحسين بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي: - الطبعة الثانية ١٩٩٤، مؤسسة قرطبة

٣. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر... طبعة ١٤٣٢-١٤٣٣ هـ - ٢٠١١ م - دار الفكر – بيروت لبنان

٤. ابن كثير: البداية والنهاية ط٢/١٩٧٨م مكتبة المعارف – لبنان، مكتبة النصر- الرياض.

٥. ابن القيم الجوزي مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ج ١ دار الكتب العلمية بيروت – منشورات محمد علي بيضون ١٩٩٨.

٦. ابن منظور: لسان العرب – طبعة دار المعارف – دون تاريخ

٧. أبو بلال عبد الله الحامد: تعليم القرآن الكريم في ظلال الرشاد والاستبداد- طبعة مهذبة معدة لطبعة ثانية ١٤٣٣هـ - ٣٠/٠٤/٢٠١٢م

٨. أحمد أوزي: سيكولوجية الطفل نظريات النمو النفسي – الطبعة الثالثة ٢٠١٣ م – النجاح الجديدة – الدارالبيضاء

٩. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة –دار الفكر - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

١٠. تركي الحمد: الثقافة في عصر العولمة الطبعة الأولى ١٩٩٩م - دار الساقي بيروت لبنان

١١. جميل صليبا: المعجم الفلسفي – دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان - ١٩٨٢م

١٢. جون ديوي: "موسوعة الكفايات الألفاظ والمفاهيم والاصطلاحات" ترجمة حسن اللحية ط ١- ٢٠٠٦، منشورات حقوق الإنسان

١٣. الحافظ ابن نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء– مكتبة الخانجي – القاهرة – دار الفكر ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م

١٤. حسن شحاتة: المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - مكتبة الدار العربية للكتاب – القاهرة

١٥. خالد الصمدي القيم الاسلامية في المناهج الدراسية مشروع برنامج لادماج القيم في ت.أ- منشورات إيسيسكو ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣

١٦. خالد الصمدي: أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي –سلسلة حوارات لقرن جديد –الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م –دار الفكر بدمشق، سوريا

١٧. خالد الصمدي: خطاب التربية الاسلامية في عالم متغير تجديد الفلسفة وتحديث الممارسة – الطبعة الأولى ماي ٢٠٠٦م – منشورات المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية، بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان

١٨. الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي –المملكة المغربية وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي - الطبعة الثانية ٢٠٠٩

١٩. سعيد اسماعيل علي: أصول التربية الاسلامية – الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م –دار المسيرة عمان، الأردن

٢٠. سيد رزق الطويل: العقيدة في الإسلام منهج حياة – العدد ٢٤٥ السنة الحادية والعشرون – صفر ١٤٠٢هـ – ديسمبر ١٩٨١ م –

٢١. سيد قطب: معالم في الطريق – الطبعة ١٤٢٩– ٢٠٠٨– دار الشروق، بيروت – دار الثقافة، الدار البيضاء

٢٢. سيد قطب: " في التاريخ فكرة ومنهاج " – الطبعة الثامنة ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م – دار الشروق – القاهرة – مصر

٢٣. سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته – الطبعة الشرعية السابعة ١٤٠٠هـــ – ١٩٨٠ م – دار الشروق القاهرة – مصر

٢٤. سيد قطب: في ظلال القرآن – الجزء ٨ – المجلد ٣ – الطبعة الثانية عشر ١٤٠٦هـ –١٩٨٦ م – دار العلم جدة المملكة العربية السعودية

٢٥. سيد قطب: مقومات التصور الاسلامي – الطبعة السابعة ٢٠١٠ – دار الشروق القاهرة – مصر

٢٦. سيد قطب: هذا الدين – الطبعة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣ م – دار الشروق، بيروت – دار الثقافة، الدار البيضاء

٢٧. الشيخ محمد متولي الشعراوي: الإسلام عقيدة ومنهاج – مكتبة القرآن – مطابع المختار الإسلامية

٢٨. عبد الحميد أحمد أبو سليمان: "أزمة الإرادة والوجدان المسلم" البعد الغائب في مشروع إصلاح الأمة" الطبعة الثانية ١٤٢٦هـــ–٢٠٠٥م – دار الفكر دمشق

٢٩. عبد الحميد أحمد أبو سليمان: أزمة العقل المسلم الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ – ١٩٩٢م – مكتبة المنار الأردن – الزرقاء

٣٠. عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة– الجزء الثاني – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – دون تاريخ –

٣١. عبد الرحمن العيسوي: سيكولوجية النمو دراسة في نمو الطفل والمراهق – الطبعة الأولى ١٩٨٧م دار النهضة العربية –بيروت/لبنان

٣٢. عبد الكريم بكار: من أجل انطلاقة حضارية شاملة (أسس وأفكار في التراث والفكر والثقافة والاجتماع) سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة – الطبعة الأولى ١٩٩٤– دار المسلم للنشر والتوزيع

٣٣. حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو"الطفولة والمراهقة" – الطبعة الثامنة ١٩٨٦ – عالم الكتب – القاهرة – مصر

٣٤. عبد المجيد النجار: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل – دون تاريخ – شركة الطباعة والنشر والإشهار – حلق الوادي – تونس

٣٥. عبد المجيد النجار: مباحث في منهجية الفكر الإسلامي – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـــ – ١٩٩٢ م – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان

٣٦. الامام الحافظ العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري الطبعة الأولى –الجزء الأول –دار الحديث

٣٧. فتحي حسن ملكاوي: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية– طبعة خاصة بالمغرب ١٤٣٤ هـــ/٢٠١٢ م المعهد العالمي للفكر الإسلامي

٣٨. الكتاب الأبيض الجزء الثاني المناهج التربوية لســـلكي التعليم الابتدائي – المملكة المغربية وزارة التربية الوطنية– ربيع الأول ١٤٢٣ يونيو ٢٠٠٢

٣٩. اللجنة الخاصة للتربية والتكوين: إسهام شبكة من الخبراء في تشخيص وطرق إصلاح التربية ولتكوين. الرباط ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥ –

٤٠. ماجد زكي الجلاد: تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العلمية – الطبعة الثانية١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م دار المسيرة – عمان – الأردن

٤١. محمد أبو فارس: السيرة النبوية دراسة وتحليل – الطبعة الأولى١٤١٨هـ – ١٩٩٧م –دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان – الأردن

٤٢. محمد السيد سابق: العقائد الإسلامية – الطبعة العاشرة ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م – دار الفتح للإعلام العربي – القاهرة – مصر

٤٣. محمد الغزالي كتاب المحاور الخمسة للقرآن الكريم دار الشروق– القاهرة مصر–

٤٤. محمد شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة – دار الشروق ط ٢٠٠١/١٨

٤٥. محمد شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة الطبعة الثامنة عشر ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م – دار الشروق

٤٦. محمد شوقي: مقاربات بيداغوجية: من تفكير التعليم إلى تعلم التفكير– ٢٠١٠– افريقيا الشرق

٤٧. محمد صالح بن علي جان: المنهاج بين الأصالة والتغريب – الطبعة الثانية دار الطرفين المكتبة المكية

٤٨. أحمد أوزي: سيكولوجية الطفل نظريات النمو النفسي – الطبعة الثالثة ٢٠١٣ م – النجاح الجديدة – الدارالبيضاء

٤٩. محمد صلاح الدين علي مجاور: تدريس التربية الإسلامية: أسسه وتطبيقاته التربوية – طبعة ١٩٧٦ –دار القلم الكويت

٥٠. محمد علي الصلابي: السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل الأحداث – الطبعة السابعة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م –

٥١. محمد قطب: دراسات قرانية – الطبعة السابعة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م – دار الشروق

٥٢. محمد قطب: ركائز الإيمان – طبعة الشروق الأولى ١٤٢٢هـ /٢٠٠١ م.دار الشروق. القاهرة – مصر

٥٣. محمد متولي الشعراوي: الإسلام عقيدة ومنهاج، مكتبة القرآن مطابع المختار الإسلامي دار السلام

٥٤. محمد متولي الشعراوي:أسماء الله الحسنى، مطبوعات أخبار اليوم – قطاع الثقافة – بدون تاريخ –

٥٥. مصطفى رسلان شلبي: "التربية الإسلامية، أسسها، طرائقها،كفايات معلمها" ط:٢٠٠٠ دار الثقافة.

٥٦. مصطفى محمد الطحان: التربية ودورها في تشكيل السلوك – الطبعة العاشرة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م – دار المعرفة – لبنان، بيروت

٥٧. وليد رفيق العياصرة: التربية الإسلامية واستراتيجيات تدريسها وتطبيقاتها العملية – الطبعة الأولى ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م عمان، الأردن

٥٨. يوسف القرضاوي: العبادة في الإسلام الطبعة الرابعة والعشرون ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م – مطبعة المدني – مصر، القاهرة

٥٩. يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن العظيم. الطبعة السابعة ٢٠٠٩ – دار الشروق – مصر، القاهرة

المجلات والمقالات

١. إبراهيم شوقار: مقومات الفكر التربوي الإسلامي في ظل المتغيرات (نظرة تحليلية في عوامل بناء الذات) مجلة إسلامية المعرفة العدد٤٦ –٤٧ – ٢٠٠٦

٢. إسهام شبكة من الخبراء في تشخيص وطرق إصلاح التربية والتكوين. المجلد ٣

٣. حسن فتحي ملكاوي: رؤية العالم والعلوم الاجتماعية مجلة اسلامية المعرفة العدد ٤٢-٤٣.

٤. عبد الحميد أبو سليمان: "أيها التربويون: الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، ثم التربية، والتربية، التربية...العلمية" إسلامية المعرفة السنة الثامنة عشر العدد٧١ شتاء ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

٥. عبد الحميد أحمد أبو سليمان: الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني.الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.المعهد العالمي للفكر الإسلامي. دار السلام – القاهرة – مصر-

٦. عبد المجيد النجار: دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية - مجلة إسلامية المعرفة - العدد الأول – السنة الأولى

٧. فتحي حسن ملكاوي رؤية العالم والعلوم الاجتماعية - مجلة اسلامية المعرفة – السنة الحادية عشر –العدد ٤٢-٤٣ خريف ٢٠٠٥م- شتاء٢٠٠٦م.

٨. فتحي حسن ملكاوي: رؤية العالم - مجلة اسلامية المعرفة - السنة العاشرة– العدد ٤٠ ربيع ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

٩. فتحي حسن ملكاوي: مفاهيم في التكامل المعرفي – مجلة إسلامية المعرفة –السنة الخامة عشر – العدد ٦٠ –ربيع ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

١٠. محمد وجيه مرسي:التربية الإسلامية وتنمية المفاهيم الدينية الموقع التربوي للدكتور وجيه المرسي http://kenanaonline.com/users/wageehelmorssi

١١. الموقع الالكتروني مركز نماء للبحوث والدراسات –حوار مع الدكتور خالد الصمدي بتاريخ ٢٠١٢/٨/٨ http://nama-center.com/DialogueDatials.aspx?Id=13